دور الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام التربوي

الأستاذ المساعد
باسمة محمد باني
جامعة الفرات الأوسط التقنية ـ المعهد التقني كوفة

نسبه الشريف:ـ

هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب(١).

أما أمه فهي السيدة الطاهرة فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام(٢)، وهو بذلك يرجع نسبه الشريف الى الرسول الاكرم محمد صلى الله عليه واله وسلم من جهة الأب والأم، وهو الإمام الخامس من الأئمة الإثني عشر عند الإمامية، تسلم مقاليد الإمامة بعد أبيه علي بن الحسين السجَاد عليه السلام.

مولده ونشأته:ـ

ولد الإمام محمد الباقر عليه السلام بالمدينة المنورة سنة سبع وخمسين من الهجرة، يوم الجمعة غرة شهر رجب، وقيل الثالث من صفر(٣).

ألقابه الشريفة:ـ

لقب الامام الباقر عليه السلام بألقابٌ عدة منها:

الأمين، الشبيه، لأنه كان يشبه جده رسول الله، الشاكر، الهادي، الصابر، الشاهد، الباقر، وهذا من أكثر ألقابه ذيوعاً وانتشاراً، ولقَبا هو وولده الصادق عليه السلام (بالباقرَين، ولقبًا بالصادقيَن من باب التغليب(٤).

وفاة الإمام الباقر عليه السلام:ـ

استشهد الإمام الباقر مسموماً في السابع من ذي الحجة سنة ١١٤ هـ ودفن في البقيع عند أبيه زين العابدين وعمه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وعمره (٥٧) عاماً كأبيه وقد أمضى في إمامته (١٩) عاماً(٥).

دور الإمام الباقر التربوي:-

للإمام الباقر عليه السلام دوراً تربوياً كبيراً اذ كان عصره نقطة تحّول وتطور في الثقافة الإسلامية، فقد انتشر العلم والوعي وزادتْ الرغبة في العلم و الرحلة إلى المراكز الدينية للحصول عليه والتحصيل في العلوم والمعارف المختلفة، فانتعش بذلك النضج الفكري، فقصد الطلاب المدينة المنورة التزود من التابعين، وكثيراً ما اتصل الفقهاء من الكوفة وغيرها بالإمام الباقر عليه السلام يبتغون العلم والأدب، ونشط الإمام بدوره في نشر العلم والفقه وتعاليم الإسلام(٦)، وقد ساعد على ذلك إن الإمام عليه السلام، قد عاش في مرحلة ضعف الدولة الأموية وانهيارها فأستثمر تخفيف قبضة الدولة عنه ليؤسس جامعة أهل البيت التي شملت أنوارها العالم الإسلامي، وأنجبت الآلاف من العلماء في مختلف العلوم والفنون على قصر عمرها، وقد ظلَّ أُولئك العلماء أوفياء لإمامهم ومعلمهم فقد ظلَوا ينهجون بطيب الذكر للإمام، يجتمعون في مسجد الكوفة يحدثون عن الإمامين الباقر والصادق، ويتدارسون فقههما وإن كان قد مرّ ما يزيد على العشرين عاماً على وفاة الإمامين عليهما السلام(٧).

لقد كانت مدرسة الإمام الباقر عليه السلام منفتحةً على المسلمين كلهم فلا تضيق بفكرٍ يختلف عن فكرها، لا بل إنها لم تردَّ مناقشاً أو مسائلاً، فقد كانت تتلقى كل ذلك بصدرٍ رحب وتتناقش في شتى الموضوعات من دون أي حرج.

ولعل مما ميَّزَ مدرسة الإمام الباقر عليه السلام عن غيرها، إنها ضَّمت مختلف المذاهب والاتجاهات المذهبية(٨)،

ووضع الإمام الباقر عليه السلام برنامجاً لتربية الأطفال في مختلف مراحل حياتهم، ابتداءً من مرحلة الطفولة المبكرة وحتى سن التكليف والرشد(٩) فقد كانت له أفكارٌ سامية في التربية والتعليم، أصبحت فيما بعد من القواعد الناجحة في أساسيات التدريس، كالقول بتدريج التعليم إذ يقول ابن خلدون فيه: ((أعلم أن التدريج شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً ، يلقى عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده، لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة ذلك العلم))(١٠).

إن هذا المبدأ الناجح كانت نواته الأولى من أفكار الإمام الباقر عليه السلام، فقد أثر عنه أنه

قال بتربية الطفل بالتدريج ضمن منهجٍ متسلسل يتناسب مع العمر العقلي للطفل ودرجات نضجه اللغوي والعقلي وقد حدد ذلك كما ورد في حديثه ((إذا بلغ الغلامُ ثلاث سنين يقال له: قل لا إله إلا الله سبع مرات، ثم يترك حتى تتم له ثلاث سنين وسبعة أشهر وعشرون يوما"، فيقال له: قل محمد رسول الله سبع مرات، ويترك، حتى تتم له أربع سنين، ثم يقال له: قل سبع مرات صلى الله على محمدٍ وآله، ثم يترك حتى يتم له خمس سنين، ثم يقال له: أيهما يمينك وأيهما شمالك؟ فإذا عرف ذلك حول وجه إلى القبلة ويقال له أسجد، ثم يترك حتى يتم له سبع سنين، فإذا تم له سبع سنين قيل له: اغسل وجهك وكفيك فإذا غسلهما، قيل له: صل ويترك حتى يتم له تسع سنين، فإذا تمت له تسع سنين عُلَم الوضوء وُضرب عليه وأمر بالصلاة وُضرب عليها، فإذا تعلم الوضوء والصلاة غفر الله له ولوالديه إن شاء الله))[١١]، وهذا المنهج التعليمي قد أثبته العلم الحديث الذي يؤكد على أن السنة الأولى والثانية والثالثة يكتسب فيها كلام الطفل طابعاً مترابطاً مما يتيح له إمكانية التعبير عن فهمه للكثير من الأشياء والعلاقات، وفي نهاية السنة الثالثة يصبح الطفل قادراً على استعمال الكلام على وفق قواعد نحوية ملحوظة وهذا يمكنه من صنع جملٍ أولية صحيحة. والطفل في هذه المرحلة يكون مقلداً لوالديه في كل شيء بما في ذلك معرفة الله تعالى، فإذا حدثناه عن الله تعالى فإنه يؤمن بالصورة التي تحددها كلماتهما عن الله حرفياً.

ولقد كان للإمام الباقر أثرٌ كبيرٌ في التصدي للتيارات الفكرية الخطيرة، إذ عاش في زمن توسعت في الدولة الإسلامية توسعاً كبيرا وانفتحوا على الحضارات المختلفة التي اتصلوا بها اضافةً الى ترجمة العديد من الكتب من اللغات غير العربية إلى العربية فبرزت اتجاهاتٍ عدة كان أكثرها يؤدي إلى الإلحاد والكفر والشرك ومن ثَمَّ تهديد أساس العقيدة الإسلامية، بحيث كان الزنادقة الدهرية ونظراؤهم يمثلون شريحةً واسعةً ، مُعلنةً لأفكارها ومتحدية للمسلمين زيادةً على استهزائهم علناً بمشاعر المسلمين وشعائرهم ، ولم يقف الإمام الباقر عليه السلام عند التصدي لهذه التيارات والاتجاهات الفكرية فحسب، لا بل أنه قاومها بشتى الوسائل والأساليب العلمية لعلمه أن فيها خطراً على الرسالة السماوية، ومن هذه الأفكار مسألة الجبر والتفويض وغيرها[١٢].

الطرائق والأساليب التعليمية السائدة عند الإمام الباقر:-

لقد تنوعتْ أساليب الإمام التثقيفية والتعليمية واختلفت أشكالها فقد كان بعضها ذا طابعٍ فردي وكان بعضها الآخر ذا طابعٍ جماعي، وقد اتخذ الإمام من الرسائل والوصايا وغيرها وسائل تعليمية(١٣).

ونشير إلى أبرز الطرائق والأساليب التعليمية في مدرسة الإمام الباقر عليه السلام التي تتلخص بـ:-

١- طريقة المناظرة:-

ولقد عُرِفَ الإمام الباقر عليه السلام بكثرة المناظرات والمحاججات والحوارات المفتوحة، وقد استعمل أسلوب المناظرات والمحاججات للرد على الخصوم ودحض حُججهم، ولترسيخ دعائم العقيدة وتطهيرها من النظريات التي جاءت بها التيارات المنحرفة، وإلقاء النظريات الأصيلة، وقد شجّع أصحابه على المناظرة ودرَّب من له القابلية على ذلك كهشام بن الحكم ومؤمن الطاق(١٤).

٢- طريقة الحوار:-

يعدُّ الحوار من الوسائل المعمول بها في التربية و الإصلاح، فيه يطرح الإنسان متبنياته الفكرية والعاطفية والسلوكية ويرد على شبهات المحاورين ويطرح الأدلة والبراهين، ويجيب عن حجج المقابل(١٥).

٣- طريقة الحلقات العلمية:-

وهي طريقة تجمع بين طريقة الندوة وطريقة المناقشة الحرة الجماعية.

وظهرتْ حلقة التعليم في العالم الإسلامي مبكرة، أو ظهرتْ مع ظهور الإسلام، وتعددتْ الحلقات واستمرتْ، وما تزال إلى يومنا تحملُ طابع الماضي المجيد(١٦).

وقد كان الإمام الباقر عليه السلام يستعمل طريقة الحلقات العلمية في تدريسه،

هوامش البحث

(١) آل ياسين، محمد حسن: في رحاب الرسول صلى الله عليه وآله، مطبعة الديواني، بغداد ٢٠٠٣، ١٤٢٤هـ.

(٢) الحاج حسن، حسين إبراهيم: معالم مشعة من حياة الامام الباقر، دار ومكتبة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله، الطبعة الاولى،١٩٩٦م،بيروت - لبنان.

(٣) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١هـ - ١٦٩٩م).. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٢، مط: مؤسسة الوفاء، (بيروت - ١٤٠٣هـ).

(٤) وحدة تأليف الكتب الدراسية: قبسات من سيرة القادة الهداة، الجزء الثاني، المنظمة العالمية للحوزات والمدارس الإسلامية، الطبعة الثالثة، قم - إيران،١٣٧٩هـ.

(٥) اليعقوبي، احمد بن إسحاق بن جعفر (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤م).٢٧٥. تاريخ اليعقوبي، د ط، مط: دار صادر، (بيروت - د ت).

(٦) سعادة، يوسف جعفر: آثار أهل البيت في تطوير المجتمع الإنساني، الطبعة الأولى مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، الطبعة، بيروت، ١٤٢٢هـ (ص٣٣٢).

(٧) اليعقوبي، مصدر سابق ص (٨١-٨٢)

(٨) فضل الله، محمد حسين: في رحاب اهل البيت عليهم السلام، الجزء الثاني، دار التوحيد للطباعة والنشر، ب ت.(ص ٨٢)

(٩) المجمع العالمي لأهل البيت: أعلام الهداية، الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، الجزء السابع، الطبعة الثانية، مركز الطباعة والنشر للمجمع العلمي لاهل البيت، قم، ١٤٢٥هـ (ص ١٩٢).

(١٠) ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، ب ت (ص ٥٣٣).

(١١) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١هـ / ٩٩١م). الامالي، تح: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، مط: مؤسسة البعثة، (قم - ١٤١٧هـ) (ص ١٨٢)

(١٢) اليعقوبي مصدر سابق (ص ٩١- ٧٨).

(١٣) المجمع العلمي مصدر سابق (ص ١٥٩)

(١٤) اليعقوبي مصدر سابق (ص ٨٨).

(١٥) العذاري، سعيد كاظم: المنهج التربوي عند اهل البيت عليهم السلام، دار الأمين للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، ٢٠٠٥- ١٤٢٦هـ، بيروت - لبنان (ص ١٩٠).

(١٦) شلبي، أحمد: تاريخ التربية الإسلامية، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، ب ط،١٩٥٤م. (ص ٣٧٠)

قائمة المصادر والمراجع

١- ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، ب ت.

٢- آل ياسين، محمد حسن: في رحاب الرسول صلى الله عليه وآله، مطبعة الديواني، بغداد ٢٠٠٣، ١٤٢٤هـ.

٣- الحاج حسن، حسين إبراهيم: معالم مشعة من حياة الامام الباقر، دار ومكتبة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله، الطبعة الاولى، ١٩٩٦م، بيروت - لبنان.

٤- سعادة، يوسف جعفر: آثار أهل البيت في تطوير المجتمع الإنساني، الطبعة الأولى مؤسسة أُم القرى للتحقيق والنشر، الطبعة، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٥- شلبي، أحمد: تاريخ التربية الإسلامية، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بـ ط، ١٩٥٤م.

٦- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت٣٨١هـ/٩٩١م). الأمالي، تح: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، مط: مؤسسة البعثة، (قم - ١٤١٧هـ).

٧- العذاري، سعيد كاظم: المنهج التربوي عند اهل البيت عليهم السلام، دار الأمين للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، ٢٠٠٥- ١٤٢٦هـ، بيروت - لبنان.

٨- فضل الله، محمد حسين: في رحاب اهل البيت عليهم السلام، الجزء الثاني، دار التوحيد للطباعة والنشر، ب.ت.

٩- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١هـ - ١٦٩٩م).. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٢، مط: مؤسسة الوفاء، (بيروت - ١٤٠٣هـ).

١٠- المجمع العالمي لأهل البيت: أعلام الهداية، الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، الجزء السابع، الطبعة الثانية، مركز الطباعة والنشر للمجمع العلمي لاهل البيت، قم، ١٤٢٥هـ.

١١- وحدة تأليف الكتب الدراسية: قبسات من سيرة القادة الهداة، الجزء الثاني، المنظمة العالمية للحوزات والمدارس الإسلامية، الطبعة الثالثة، قم - إيران، ١٣٧٩هـ.

١٢- اليعقوبي، احمد بن إسحاق بن جعفر (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤م).٢٧٥. تاريخ اليعقوبي، د ط، مط: دار صادر، (بيروت - د ت).